إرتريا من ضحية الى لاعب اساسي
في القرن الافريقي

قدمت في الحوار المتعدد التخصصات حول
"العدالة والتنمية والجغرافيا السياسية للقرن الأفريقي "
من 4 الى 6 سبتمبر 2024
أسمرا ـ ارتريا
وزارة العدل

المقدمة:

إن بلدان القرن الأفريقي هي من نتاج المناورات الجيوسياسية للقوى الاستعمارية في أواخر القرن التاسع عشر، قد تكون هذه الحقيقة غير مستساغة بالنسبة للبعض، لكن يجب علينا أن نتقبلها، لقد دفعت شعوب المنطقة ثمناً باهظاً لمغامرات قادتها، عازمة على تحقيق أوهام العظمة الملفقة من أساطير الضباب التي لا توجد إلا في مخيلة المؤرخين الزائفين.

إذا أردنا أن نتحرر من دائرة الحرب والفقر والتخلف التي ابتليت بها منطقتنا، يجب علينا، قدر الإمكان، أن نواجه واقع تاريخنا وجهاً لوجه، دون أن نخجل من الهياكل العظمية في الخزانة ونبني على الإنجازات النبيلة لأسلافنا، عندها فقط يمكننا استعادة التاريخ والاستفادة منه لبناء مستقبل مشرق للجميع بشكل مشترك.

عندما قام الإيطاليون بتسمية عقاراتهم التي استحوذوا عليها حديثاً في القرن الأفريقي، بإريتريا، لم تتم استشارة السكان الأصليين لتلك الأرض ولم يكونوا على علم بأن تاريخهم قد اتخذ للتو اتجاهًا جديداً، للأفضل أو للأسوأ، وعندما قام السادة الإيطاليون بتجنيد السكان الأصليين في الجيش الإمبراطوري وأجبروهم على خوض حروبهم، خلقت المعاناة المشتركة بذرة هوية جديدة.

وعندما قام السادة الإيطاليون بتجنيد السكان الأصليين لتوفير عمل شاق لبناء الطرق والسكك الحديدية والقصور والكاتدرائيات والمعالم الأثرية، أثارت المعاناة المشتركة شعورًا جديداً بالعمل الجماعي.

عندما تم اقتلاع السكان الأصليين وتجميعهم في مدن الصفيح، وإجبارهم على العمل كخادمات في المنازل، وعمال مصانع، وموظفين حكوميين مقابل أجر زهيد، من خلال معاناتهم الجماعية، ولدوا من جديد كإريتريين، في حين من دمائهم وعرقهم ولدت إريتريا.

عندما هُزِم الإيطاليون وأُجبروا على الخروج من إريتريا خلال الحرب العالمية الثانية، توقع الإرتريون بسذاجة أن النهاية ستكون أسياد مصيرهم، أسياد إريتريا.

للأسف، لم يكن من المفترض أن يكون، لقد أعطتهم الجغرافيا السياسية التنافسية بين القوى العظمى في الحرب الباردة، كانت وراء صحوتهم القاسية، واعطتهم ودرسًا مريرًا، ولكنه مهم للغاية، لا أحد يمنحك حريتك، أنت تأخذها، وتأخذها بالقوة إذا لزم الأمر. وهكذا بدأت واحدة من أطول حروب التحرير. وعندما رفع الإريتريون السلاح وبدأوا القتال من أجل استقلالهم، أدركوا بسرعة أن هزيمة العدو لم تكن كافية، ويجب هزيمة الشياطين في الداخل أيضًا. سمح هذا الصراع ذو الجبهتين للإريتريين ليسقط بالحصول على حريتهم ولكن أيضًا بتعزيز روابط الأمة من خلال صداقة التضحية المشتركة.

لقد كانت حرب التحرير الإريترية من أكثر الحروب دموية في تاريخ المنطقة، وقد دفع الشعبان الشقيقان إريتريا وإثيوبيا ثمن حماقة الآخرين بأفضل وألمع ما لديهما وعقود من الفرص الضائعة، عندما نالت إريتريا استقلالها، كان هناك أمل في أن يكون ذلك بمثابة درس جديد لشعوب المنطقة، وفرصة للتعلم من التاريخ والبدء من جديد.

ولسوء الحظ، كان هناك أناس ما زالوا عالقين في العقلية القديمة وعازمين على التأرجح ضد مجرى التاريخ. ومثل أقرانهم في التاريخ، كان أسلوبهم المفضل فالعمل هو جعل أنفسهم محافظين على القوى العظمى بدلاً من خدمة مصالح شعوبهم من خلال العمل الصادق على تحقيق السلام الجماعي والعدالة والازدهار لشعوب المنطقة.

وكانت الحرب الثانية بين إرتريا وإثيوبيا أكثر دموية وتكلفة، ولكن في ظل الثمن الباهظ الذي فرضته، أعادت التأكيد على الحاجة إلى تحول نموذجي في الطريقة التي تفكر بها الدول في أمنها وتنميتها، وعلى إن حل مشاكلهم موجود داخل المنطقة وليس خارجها، وأن التقدم والعظمة يأتي من العمل معًا لتحقيق السلام والعدالة والرخاء للمنطقة بأكملها، وليس باتخاذ الطريق السهل وتسليم مشاكلنا ومصيرنا للأخرين.